النظم عند اللغويين

أهميّة النحو في حفظ اللسان العربي:

قوله تعالى: "يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ، بِأَكْوَاب وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ، لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ، وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ، وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ، وَحُورٌ عِينٌ، كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ، جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" الواقعة: الآيات 17- 24

والشيء نفسه، في قوله تعالى "أن الله بريء من المشركين ورسوله" التوبة: 3

قراءة الآيتين قراءة نحويّة/إعرابيّة.

عناية العلماء المسلمين بالنظم:

الكلام العربيّ كما بيّنه سيبويه ما هو "مستقيم حسنٌ، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن فقولك: (أتيتُك أمْسِ وسآتيك غداً)، وأمّا المحال فأن تنقضّ أوّل كلامك بآخره فتقول: (أتيتك غدا وسآتيك أمس) وأما المستقيم الكذب فقولك: (حَمَلتُ الجبلَ، وشربت ماء البحر ونحوه). وأما المستقيم القبيح فأنْ تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: (قد زيداً رأيت، وكي زيداً يأتيك، وأشباه هذ)ا. وأما المحال الكذب فأن تقول: (سوف أشرب ماء البحر أمسٍ" انتباه إلى نظم الجملة.

معاني النحو:

وقف النحاة بصريون وكوفيّون - ابتداء بالخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175 ه، ثمّ سيبويه ت 180 ه ، فالأخفش الأوسط ت 215 ه، والمبرّد ت 286 ه، وبالكسائيّ ت 189 ه ، والفرّاء ت 207 ه، وأبي العبّاس ثعلب ت 219 ه – على دراسة تراكيب الجمل العربيّة وتحليلها والوقوف على تغيّراتها تقديما وتأخيرا، من غير أن يسموا عملهم نظما.

ارتبطت نظريّة النظم عند الجرجاني بـ (معاني النحو) التي هي الجوهر في نظم الكلام، ولهذه الفكرة - معاني النحو- جانب كبير في كتاب سيبويه الذي ربط النحو بما يقصده المتكلّم من معان ودلالات باعتماد السياق الذي يضع فيه كلامه مستخلصا ذلك ممّا وجده في اللغة العربية من قوانين وقواعد في شعر شعرائها وكتابها. إذ يحرصون على أن تكون الجملة في علاقتها بغيرها من الجمل كما اعتمدها العرب ولا يرضون عنها بديلا، مستخدمين مختلف الأساليب التي يجدونها في الأشعار والقرآن والنصوص النثريّة الأخرى.

تطرّق سيبويه إلى القضايا اللغويّة المرتبطة بالبلاغة كاشفا عن تباين المعنى الذي يقع في التعبيرات بصيغ مختلفة عن المعنى الواحد؛ (زيد كريم)، (زيد مثل حاتم في الكرم)، (زيد بحر يحسن للناس)، (زيد النار في بيته لا تنطفئ) فهذه الأساليب تختلف في وضوح الدلالة على كرم زيد فبعضها أوضح من بعض .

انصراف النحاة بعد سيبويه إلى العناية بالإعراب والبناء، والعوامل والتقديرات ممّا ابعد النحو عن هدفه وأحاله قواعد لا روح فيها. ولم يكن النحو كذلك، وهوما جعل الجرجاني يحمل على النحاة ويطالبهم بالعودة إلى النحو الذي كان من أجل الإبقاء على اللغة.

للنحو في تركيب الكلام معنيان؛

- معنى يدل على ظاهر الوضع اللغويّ،
- معنى آخر أو دلالة إضافيّة تتبع المعنى الأوّل وهي المقصد والهدف في البلاغة، وقد استنتج الجرجاني من هذا الهدف انّ دقّة النظم والبلاغة والبيان كامنة في معاني النحو، ومطويّة في التركيب اللغويّ.

الحذف بين النحو البلاغة

يتنوّع الحذف في الجملة فيكون بالحرف ويكون بالفعل أو الاسم، بل قد يكون الحذف جملة.

حذف الحرف، مبنى ومعنى

لم أك بغيا نبنى

المعنى : ذهبت وهران والأصل إلى وهران

"واتّقوا الله الذي تساءلون به والأرحامَ" النساء 1 قراءة حمزة بن حبيب الكُوفيُّ ت 156 ه بكسر (الأرحام).

- أنكر بعض المفسّرين هذه القراءة

رفض الخفض لقاعدة الظَّاهِر لَا يعْطف على الْمُضمر الْمَجْرُور. في حالة المجهول (مررت به وزيد) أمّا المعلوم فجائز

فاليوم أَصبَحت تهجونا وتشتمنا ... فَاذْهَبْ فَمَا بك وَالْأَيَّام من عجب

والتقدير فما بالهاجي والشاتم والأيام من عجب.

حذف الفعل

يا أيّها الناس قد جاءكم الرسول بالحقّ من ربّكم فآمنوا **خيرا** لكم" النساء 170 (أتوا خيرا لكم) كما يرى الخليل وسيبويه والزمخشري

"يقول سيبويه: هذا بابٌ يُحْذَفُ منه الفعل لكثرته في كلامهم حتى صار بمنزلة المَثَل وذلك قولك: (هذا ولا زَعَماتِك). أي: ولا أَتَوَهَّمُ زَعَماتِك. ومن ذلك قول الشاعر، وهو ذو الرُّمّة، وذكر الديار والمنازل:

ديارَ مية إذا مَيٌّ مُساعِفةٌ ... ولا يَرى مثلَها عُجْمٌ ولا عَرَبُ

كأَنه قال: أَذْكُرُ ديارَ مَيّة.

تنزيلا لمن خلق الأرض والسماوات العلى" طه 4

أن يكون بدلا من تذكرة إذا جعل حالا، لا إذا كان مفعولا له، لأنّ الشيء لا يعلل بنفسه. وأن ينصب بـ (نزل) مضمرا. وأن ينصب بـ (أنزلنا) لأن معنى: ما أنزلناه إلا تذكرة: أنزلناه تذكرة. وأن ينصب على المدح

حذف الاسم (المبتدأ)

هناك مواضع متعدّدة "يطَّردُ فيها حذفُ المبتدأ، "القطع والاستئناف، يبدأون بذكر الرجل ويقدّمون بعض أمره، ثمّ يدعون الكلام الأولَ، ويَستأنفون كلاماً آخرَ، وإذا فعَلوا ذلك، أتوْا في أكثرِ الأمرِ بخبَرٍ من غَير مبتدأ مثال ذلك قوله:

إذا ذُكِرَ ابْنا العَنْبريَّةِ لم تَضِقْ ذِراعِي، وألقى باسته من أفاخر

هِلالانِ، حمّالانِ في كلِّ شَتْوةٍ مِنَ الثِّقْلِ ما لا تَسْتطيعُ الأباعِرُ

فللنحو دور كبير في انتظام المعاني، فالرفع له معناه والنصب كذلك، وأنّ هذه الأمور إنمّا تتعلّق بأغراض المتكلّمين ومقاصدهم، وأحوال أوضاعهم.